

الجزائر في أواخر العهد العثماني في الأسطوريوغرافيا الإيطالية قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبيو بانانتي في مدينة الجزائر نموذجاً

Algeria in the Late Ottoman Period in Italian
Historiography: The Story of the Italian Captive
Filippo Pananti's Stay in Algiers as a Case Study.

بوتبة لخضر

Bouteba Lakhdar

جامعة محمد لمين دباغين- سطيف (الجزائر)

boutelalakhdar@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2025/11../09.. تاريخ القبول: 2025/12../06.. تاريخ النشر: 2025/12../20..

ملخص: حظيت الجزائر خلال العهد العثماني باهتمام وعناية الرحالين من العلماء والمستكشفين والملاحين والرهبان والأسرى والدبلوماسيين الأوروبيين، حيث ترك لنا هؤلاء كلهم كتابات بلغات مختلفة ذات قيمة تاريخية وعلمية كبيرة، وتعد مصادراً مهمة لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال، لما تحويه من أخبار ومعلومات ومعطيات شملت جميع ميادين الحياة في هذا العصر. غير أن هذه المصادر يجب أن يتلقاها الباحث والدارس والقارئ على حد سواء بحذر وحيطة، وينبغي عليه أن يدرك النوايا الحقيقية لهؤلاء وخلفياتهم الدينية والسياسية. سنحاول في هذه المداخلة أن نتناول مصدر إيطالي ألفه أديب وشاعر إيطالي كان أسيراً في مدينة الجزائر سنة 1813 وهو فيليبيو بانانتي من خلال كتابه الموسوم: قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبيو بانانتي [Filippo Pananti](#) في مدينة

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في
الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبو بانانتي في مدينة الجزائر
أنموذجا.

الجزائر، والذي قمنا بترجمته من الفرنسية إلى اللغة العربية، وسنقف
على نظرة هذا الأديب وآرائه حول الجزائر في هذه الفترة الحرجة من
الحكم العثماني(أواخر الحكم العثماني)، فهل كانت نظرة هذا الكاتب
مختلفة عن الكتاب الآخرين أم أنه وقع في فخ التعصب الديني والعنصري
على غرار أغلب كتاب هذه الفترة من الأوروبيين؟ وما مدى مصداقية
المعلومات والأفكار والملاحظات التي أتى على ذكرها في هذا المصدر التاريخي

كلمات مفتاحية: الجزائر، الأسرى، بانانتي، السفن، المسيحيين،
الحرية

Abstract:

Algeria in the Late Ottoman Period in Italian Historiography: The Case Study of the Italian Captive Filippo Pananti's Stay in Algiers Abstract: During the Ottoman era, Algeria attracted significant interest and attention from European travelers, including scholars, explorers, observers, monks, captives, and diplomats. All of these individuals left writings in various languages that possess great historical and scientific value, constituting essential sources that cannot be overlooked under any circumstances, due to the news, information, and data they contain covering all fields of life during this period. However, these sources must be approached by researchers, students, and readers alike with caution and prudence, and it is crucial to understand the genuine intentions of these authors as well as their religious and political backgrounds. In this presentation, we attempt to examine an Italian source authored by an Italian literary figure and poet who was a captive in Algiers in 1813, Filippo Pananti, through his book titled "The Story of the Stay of the Italian Captive Filippo Pananti in the City of

Algiers," which we have translated from French into Arabic. We focus on this author's perspective and views regarding Algeria during this critical period of Ottoman rule (the late Ottoman domination). The study questions whether this author's perspective differed from that of other writers or whether he fell into the trap of religious and racial fanaticism, similar to the majority of European writers of that era. Additionally, it assesses the credibility of the information, ideas, and observations presented in this historical source.

Keywords: Algiers, Captives, Pananti, Ships, Christians, Freedom.

1-مقدمة:

لقد أثارت هيمنة الجزائر وسيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال العهد العثماني طوال فترة زمنية طويلة فضول السياسيين والدبلوماسيين والمثقفين الأوروبيين، فتولدت لديهم الرغبة في التعرف على هذه القوة عن كثب، فتوافد عليها عدد كبير من العلماء والرحالين، كما كتب عنها الكثير من الأسرى الذين ساقهم القدر للوقوع في الأسر على يد الجزائريين، ومن بين هؤلاء كان الأديب والشاعر الإيطالي فيليبو بانانتي الذي أتحفنا بكتاب ضخيم ضمنه قصة إقامته في مدينة الجزائر كأسير.

هو كتاب كتبه باللغة الإيطالية جاء في 626 صفحة، تحتوي على ملاحظات على الحالة الراهنة لإيالة الجزائر، والعلاقات بين الدول البربريسكية والقوى المسيحية، وأهمية سيطرة هذه القوى على تلك الدول. وأصل الكتاب ترجمة من الإنجليزية إلى الفرنسية، نُشرت من قبل دار نشر "Le Normand" في باريس عام 1820. وهي تُقدّم

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فيليبو بانانتي في مدينة الجزائر أنموذجا.

سردًا تفصيليًا لرحلة إلى الجزائر، كتبها الشاعر الإيطالي فيليبو بانانتي الذي أسره القراصنة الجزائريون حينما كان عائدا من إنجلترا في رحلة في البحر الأبيض المتوسط إلى وطنه إيطاليا، واقتيد عبدا إلى مدينة الجزائر حيث مكث بها مدة قصيرة. ثم أُطلق سراحه بتدخل من القنصل الأنجليزي.

ويتضمن هذا المؤلف ملاحظات حول الحياة في الجزائر في ذلك الوقت، بما في ذلك التاريخ والجغرافيا، والسكان، والحياة القبلية، والعادات والتقاليد، والزراعة والصناعة، والحياة السياسية والعسكرية. كما يُناقش المؤلف العلاقات بين الجزائر والحكومات الأوروبية، ويُبين أهمية استعمار القوى الأوروبية لشمال إفريقيا، وصعوبات تحقيق ذلك، ويُقدم مجموعة من النصائح من أجل تشكيل الجيش الذي سيقوم بهذا المشروع الكبير.

2- التعرف بالمؤلف فيليبو بانانتي:

وُلد فيليبو بانانتي في مقاطعة توسكانا الإيطالية في عام 1766 من غيوسيبي Giuseppe وكاترينا أنجيولا غاتي Caterina Angiola Gatti، كان أخ لتسعة إخوة، أصبح يتيم الأب في سن الثانية، وتكفل به خاله أنجيلو غاتي Angelo Gatti مع إخوته، وبعد دراسته الأولى في المدرسة الإكليريكية الأسقفية في بستويا Pistoia ما بين 1777-1785، درس في أكاديمية سان ليوبولدو S. Leopoldo، وفي سنة 1785 التحق بكلية الحقوق بجامعة بيزا Pisa، وتخرج منها سنة 1789، لكنه لم يمارس مهنة المحاماة، حيث فضل الشعر الذي كان مولعا به منذ بداية دراسته الجامعية. وفي سنة 1796 عندما بدأت العلاقات بين فرنسا وتوسكانا في التدهور وشدت الحكومة الإجراءات المناهضة للجمهورية، تولى

بانانتي عن دور الوسيط، ولفترة قصيرة، تخلص عن الحياة السياسية،
وسافر إلى توسكانا وتفرغ لنظم الشعر.

في عام 1798، نظراً للصعوبات الاقتصادية التي أعقبت وفاة خاله،
عاد إلى فلورنسا معتمداً على شهرة أدبية جيدة، بدأ في كتابة القصائد
ومجموعة من القصص القصيرة. كما كان مهتماً بفن الموسيقى حيث
قام بتجميع المئات من المؤلفات، والتي ظهرت في طبعات عديدة، تم
وضع بعضها على فهرس.¹

ومع الاحتلال الفرنسي لفلورنسا سنة 1799 أعلن بانانتي عن
مواقفه الديمقراطية من خطبه المنشورة في الصحيفة. وفي أوت 1799
بعد هروب الفرنسيين من فلورنسا، لجأ بانانتي إلى فرنسا حيث تم
تعيينه أستاذاً للغة والأدب الإيطالي في كلية سوريز Sorèze من سنة
1800 إلى 1802.

وفي عام 1803 انتقل إلى لندن، وعلى الرغم من أنه كان ينوي البقاء
بضعة أشهر فقط، فقد بقي هناك لمدة عشر سنوات، أيضاً بسبب
استئناف الأعمال العدائية مع فرنسا، بالإضافة إلى تعليم اللغة
الإيطالية لأعضاء النبلاء، وأسس في عام 1813 مع بعض مواطنيه
صحيفة أدبية سياسية L'Italico، والتي أصبح أول مدير لها، حيث نُشر
في هذه الدورية بالإضافة إلى المقالات النثرية المختلفة، العديد من
قصائده الشعرية، وانتقاداته المسرحية. وأثناء تواجده في لندن تولى
منصب شاعر في مسرح الملك في هايماركت Haymarket (المسرح
الإيطالي في لندن)، حيث كرس نفسه للتأليف، فنشر نماذج أدبية

¹ فيليبو بانانتي: قصة إقامة الأسير الإيطالي فيليبو بانانتي Filippo
Pananti في مدينة الجزائر (1813)، ترجمة د/ بوطبة لخضر، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع،
الجزائر، 2024. ص ص 7-8.

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبو بانانتي في مدينة الجزائر أنموذجا.

شهيرة، ولا سيما لورانس ستيرن Laurence Sterne وفرانشيسكو بيرني Francesco Berni.

بعد أن قضى ثلاثة عشر عامًا في لندن، قرر بانانتي العودة إلى إيطاليا في عام 1813، فانطلق من كاليه (Calais) إلى صقلية، وبعد فترة وجيزة من مروره بجبل طارق، وقع أسيرا في أيدي القراصنة الجزائريين، وتم نقله إلى مدينة الجزائر، ولكنه لم يمكث في الأسر طويلا حيث أُطلق سراحه بتدخل من القنصلية الإنجليزية في الجزائر، لكنه فقد جميع ممتلكاته وقت أسره، بما في ذلك الكتب والمخطوطات التي تحتوي على أعماله، أُجبر على البقاء في مدينة الجزائر في انتظار فرصة المغادرة، وتمكن من زيارة المدينة ومناطق أخرى في شمال إفريقيا على ما يبدو. لقد سرد هذه الإقامة في كتاب باللغة الإيطالية تحت عنوان: مغامرات وملاحظات فيليبو بانانتي على سواحل باربارية (Aventure E) (Observazioni Di Filippo Pananti Sopra Le Coste Di Barnaria)، صدر في فلورنسا سنة 1817، وتُرجم إلى اللغة الإنجليزية وطُبع في لندن سنة 1818، ثم تُرجم إلى الفرنسية وطُبع في باريس 1820، وهي النسخة التي اعتمدها في هذه الترجمة.

في نهاية عام 1813، تمكن بانانتي من مغادرة الجزائر على متن سفينة صغيرة تابعة للقنصل الإسباني كانت تحمل العلم الجزائري، حتى تتمكن السفينة من المرور دون إهانة واحترام الجميع، ووصل إلى باليرمو في يناير 1814، واستقر بشكل دائم في فلورنسا، وواصل تكريس نفسه للأدب، حتى توفي بها في أواخر سنة 1837.

3- ملخص عن الكتاب:

الكتاب من الحجم الكبير يشتمل على ثلاثة وعشرون فصلا تناول فيها المؤلف مواضيع شتى ففي الفصل الأول تحدث عن رحلته من أنجلترا إلى

موطنه إيطاليا وشمل: مذكرات-أصل الرحلة-التأخير القاتل- التاييمز -
المحيط- استمرار الرحلة- ساحل فاس- -نهر التاييمز- لقاء - مضيق وخليج
جبل طارق- الدخول إلى البحر المتوسط - الوصول إلى جزيرة سان بيترو.
وتحدث في الفصل الثاني عن مغادرته سان بيترو - النذر-
ظهور الأسطول الجزائري - الاستيلاء على يد القراصنة- إحضار الأسرى
أمام الأميرال- الليلة الأولى على متن السفينة القرصان - اليوم الثاني -
العاصفة - التزام بحري- اتحاد الأسرى البربريسك- الاشتباك - المعاملة
على متن السفينة القرصان- الأمل- تحسن الوضع- الرايس حميدو-
ساحل إيطاليا -مجلس الحرب - الحرب بين تونس والجزائر- ملاحظة
تاريخية عن تونس - الثورة- ظهور الأسطول أمام تونس وانسحابه-
الإبحار على طول الساحل والوصول إلى بونة.

وفي الفصل الثالث تطرق إلى الوصول إلى مدينة الجزائر-
النزول إلى اليابسة- المثلث أمام زعماء الحكومة- سجن العبيد- أول يوم
في العبودية- الاحتلال- التحرير-الوصول- الأعمال العامة- الثروات
المفقودة- في القنصلية البريطانية- خسائر أكبر- التعازي- رفاء البؤس-
نمط الحياة في الجزائر.

وتطرق في الفصل الرابع إلى استعباد المسيحيين في الجزائر(آثاره
الجسدية والمعنوية)- ملاحظات حول الفدية والإفراج التي نفذتها
الحملة بأوامر من اللورد إكسموث ملاحظات حول روايات باربارية
المختلفة التي تم نشرها حتى الآن-غرض المؤلف ودوافعه في إعطاء
قصته للجمهور، وما إلى ذلك. إلخ.

وتحدث في الفصل الخامس عن باربارية التي اشتق منها اسمها
- ترايبها ومناخها - نبذة عن تاريخها العام وتاريخ مدينة الجزائر بشكل
خاص - الوصف الجغرافي والنصب التذكارية والآثار القديمة - وصف
العاصمة.

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في
الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبو بانانتي في مدينة الجزائر
أنموذجا.

وفي الفصل السادس انتقل إلى الحديث عن الأحفورات
والمعادن ومنتجات بلاد باربارية الأخرى - اللوتس والنخيل -
الحيوانات الأليفة - الحصان البربري، الجمل والجمل الوحيد السنام -
الحيوانات البرية - الطيور والزواحف والعقارب والجراد - الحيوانات
وتناول في الفصل السابع صحراء أنجاد- ألم أولئك الذين
يعبرون الصحراء أو الصحراء الكبرى- القافلة- السيمون- ظواهر
مختلفة- أعمدة الرمال- الواحات- معبد آمون- العزاء في الصحراء- جبل
الأطلس- المسافة إلى جنوب هذا الجبل، إلخ.

انتقل في الفصل الثامن إلى الحديث عن الشعوب المختلفة في
باربارية - السود - الأتراك - المغاربة- البربر - العرب - اليهود - النصارى -
المرتدون - البدويون - الشاوية - طريقة حياتهم - أزياء الذكور والإناث -
الخرافات المختلفة - مهن العرب - الغنى - الزواج - نوادر الطباع
وفي الفصل التاسع تحدث عن لمحة عن القبائل والقبائل العربية -
الدواوير - الخيام - التخيم - التعداد - الدشور أو القرى - الشيوخ -
لصوص العرب - نوادر عنهم وفي الفصل العاشر قدم لنا وصف المغاربة-
شكلهم وشخصيتهم-أزياء الرجال والنساء-تصنيف الشعر والهندام-
المسكن-أخلاق وعادات خاصة-زواج المغاربة-الجنائز-وضعية الأرامل،
إلخ.

وتناول في الفصل الحادي عشر الطقوس الجنائزية وراث الموتى في
بلاد باربارية - حداد الأرامل - نذور الصداقة والوفاء على قبور الوالدين
- مائدة المغاربة - الكسكس - البيلو - التوابل وبن اليمن - استخدام
السكر - ألعاب المغاربة - طريقة جذب الطيور - الشطرنج وألعاب
المقامرة - التجمعات الاجتماعية - الأكشاك - محلات الحلاقين -
حمامات المغاربة - طريقة استحمامهم - الحمامات التي ترتادها النساء

مرة واحدة في الأسبوع - المغنيات والراقصات - رواة القصص المتجولون
- الضرب بالعصا - حياة مغاربي ثري

وفي الفصل الثاني عشر تطرق إلى المغاربيات الجميلات -
عيونهن - ملامحهن - بدائتهن - طريقة تسميتهن قبل الزواج - معيار
الحكم على جمال المرأة - مقارنة النساء المغاربيات بنظيرتهن في أوروبا
- حالة النساء المؤسفة في باربارية - حالة العبودية التي يعانين منها - رأي
المغاربة في خلقهم - شيخوخة النساء المبكرة - غيرة المغاربة - الاحتياط
السخيف حتى لا يرى أحد نساءهم - ولا يكلمهم - نتيجة حتمية
لاكتشاف المكيدة - قوة الحب - بيوت المغاربة مواتية للمؤامرات -
أرجوس المخدوع - السلوك الحنون للنساء المغاربيات تجاه أزواجهن -
إلخ، إلخ

الفصل الثالث عشر

حالة الزراعة - طريقة الحرث السيئة - النبيذ - السمن - الزيت -
أشجار زيتون الورود - طريقة تسميد الأرض - المصنوعات المختلفة -
جوهر الورد - التجارة - الصادرات والواردات - التجارة مع الداخل
الإفريقي. الأنواع المتداولة - الآداب والعلوم - الكتاب العرب - الفقهاء -
تحذلقهم - التطبيب - علاج المرضى في باربارية.

أما الفصل الرابع عشر فقد تطرق فيه للكلام عن حالة الفنون في
باربارية - الإسمنت والغراء الغريب - لغة شمال إفريقيا - موسيقى
المغاربة - الآلات المختلفة - الغناء الإسلامي - العادات السخيفة - الصيام
الصارم - الملاذ الموجود في المساجد وغيرها. المدينة المقدسة - جنة
المسلمين - الحج إلى مكة - المرابطون - الأولياء - نفاقهم المثبت - سهولة
تقديسهم بباربارية - المفتيون واجباتهم وسلطاتهم - طريقة الفصل في
مسائل الشريعة وتطبيق القوانين - الأئمة - المؤذنون - القرآن - نبذة عما
فيه - مفسر ; القرآن.

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في
الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبو باناني في مدينة الجزائر
أنموذجا.

وتناول في الفصل الخامس عشر طبيعة حكومة الجزائر - طابعها
-الإيالة-الديوان-سلطة الداى-انتخابه وطريقة إجراءاته- أسلوب إقامة
العدل- سبب شعبيته- المخاطر التي تحيط بشخص الداى- نوادر عن
بعض الرؤساء والأواخر-تفاصيل عن الداى علي باشا- وفاته -
الحكايات- مذكرة بشأن المزلوي خليفة علي - عمر آغا - مجلس الدولة
- الذي يتكون منه بشكل عام - تأثير خلع الداى - تأملات سياسية
مختلفة - نظرة عامة على مختلف الضباط الذين يشكلون إدارة الداى-
الطريقة التي يستخدمها القناصل لتحقيق العدالة- وصف ضباط
الداخلية- الشخصية العامة لوزراء الداى- ملاحظات - حكايات، إلخ،
إلخ.

وتناول في الفصل السادس عشر وصف الديوان- طابعه باعتباره
الهيئة التمثيلية التي يتكون منها- طريقة تجميعه ومناقشته وجمع
الأصوات- الدخل- البايات- جشعهم- سياسة الداى تجاههم- الزعماء
وإزعاجاتهم المتعددة تفاصيل عن رؤساء الداى أو رسله - تأثيرهم على
الجمهور - تأملات في القوانين والحكومة - القانون الجزائري - القضاة -
معاملتهم ووظائفهم - المحاكمات المدنية في البربر - جهل القضاة - طريقة
جديدة لتقرير القضاة الأسباب -ملاحظات على هذا الأسلوب -
المحاكمات الجنائية -العقوبات الموقعة على مختلف الجرائم -آثار الزنا
وخيانة النساء -عقوبات الخيانة -المدينين -كيفية العلاج -قصة إبراهيم
داى -أثر إقامة العدل الشخصية من قبل الباى- حكاية شعبان داى-
عيوب القانون الجزائري- شدة التعسف المفرط- أنظمة شرطة الجزائر
العاصمة- الدوريات الليلية- الجواسيس والمخبرون- حيلة السلطة

وانتقل في الفصل السابع عشر إلى وصف النظام
المالي في الجزائر- طرق مختلفة للحصول على المال-الخزينة العامة.

المصادر المختلفة لدخل الداي- القوة العسكرية للجزائر- الولاة واليولداش والأورطات- الزواف-الأغا- وظائفه- كيف يتم استبداله- آغا المعسكر-الكاهية- مكافآت الخدمة العسكرية-بولكباشيين ووُكلاء الحرج- ترقية الجنود في الجزائر-رواتب الجنود- مراسم الاحتفال عند الدفع - الزيادة التدريجية في الأجور-حالة الجيش الجزائري- تكوينه- سلاح الفرسان البدو- العمليات السنوية لجمع الضريبة- العقوبات التي يعلنها الداي- المعاملة العامة للجنود - الآثار المترتبة على ذلك- صفات جيش الداي- العمليات المتروكة لتقدير الجنرال- مجالس الحرب- طريقة التخيم وترتيب المعركة- كيفية الهجوم والحشد- شخصية الميليشيا التركية- سلطتها على السكان المغاربة.

وفي الفصل الثامن عشر تطرق إلى موضوع القرصنة - الوضع الطبيعي للحكومات البربريسكية - ثوابتها السياسية - اهتمامها بشن الحرب - طريقتهما في إعلانها والانتقام منها - معاملة القناصل والرعايا الأوروبيين - الطريقة التي يبرر بها الشعب البربريسي سياسته تجاه القوى الأجنبية- طريقتهم في بدء الأعمال العدائية- لقد كانت شمال إفريقيا دائماً ملاذاً ومقرّاً للقراصنة- نهيمهم- أسرهم- بيع الغنائم وتوزيع أسعاره- طريقة امتلاك العبيد- الباديستان- تيغوراني-انشغالات الأسرى المسيحيين- فديتهم- جهود المؤلف وآخرين في تحرير العبيد الصقليين- ما فعلته الحكومة البريطانية لتعزيز تحررهم- إشعار للأسرى- الوقت الذي يمكنهم فيه الهروب عاجلاً- نتيجة محتملة لمؤامرة منظمة بشكل جيد بين العبيد المسيحيين في الجزائر ، إلخ.

وتناول في الفصل التاسع عشر القوة العسكرية والبحرية لدول البربريسك-طرابلس، المغرب: فكرة عن آراء الدولة الأخيرة-علاقات هذه الدول مع الجزائر وفيما بينها- أصل استقلالهم. تأثير الباب العالي على البربريسك- طبيعة علاقاته معهم. - تأملات في سياسة السلطان

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبو بانانتي في مدينة الجزائر أنموذجا.

العظيم- حالة العلاقات السياسية بين القراصنة ومختلف الحكومات في أوروبا.

وفي الفصل العشرون تحدث عن عودته إلى بلاده بعد إطلاق سراحه حيث تحدث عن الانطلاقة من الجزائر- المشاعر التي شعرت بها عند الانفصال عن هذه الإقامة رفاق في المصيبة — العبور إلى مينوركا - الوصول إلى بورت ماهون - مدخل مدينة اللازاريت- بعض الأفكار حول مينوركا- سلوك القنصل الإنجليزي في السير سيدني سميث— العبور إلى صقلية — الوصول إلى باليرمو- تأملات مختلفة حول الحالة المدنية والسياسية للجزيرة - المغادرة من صقلية — الوصول إلى بونزا، وبعض التفاصيل حول هذه الجزيرة- العودة إلى توسكانا- الفكرة المقترحة

وفي الفصل الواحد والعشرون تحدث عن سلوكيات حديثة وإهانات جديدة من القوى البربريسكية. مفاوضات اللورد إكسموث والجنرال السير توماس ميتلاند — قصص مدينة الجزائر — استسلام الداى — ملاحظات على المعاهدات المبرمة في الآونة الأخيرة بين القوى الأوروبية والدول البربريسكية — ملاحظات حول سلوك بريطانيا العظمى مقارنة بسلوك الحكومات الأخرى — لغز فريد — أفكار مقترحة- الحاجة إلى اتخاذ احتياطات أكبر من تلك المعتمدة — إلى أي مدى تكون ثقتنا في الإيمان بالمعاهدات غير مبررة — أخلاق الزعيم البارباريسكي - شعاره — التصرف الحالي لهذه السلطات يتجلى في سلوكها العام

وفي الفصل الثاني والعشرون تناول موضوعات متنوعة منها قوله أن إيطاليا أكثر عرضة من أي وقت مضى لنهب البربريسك — عواقب الالتزام بعدم أخذ أسرى — أسر بالحرب — معاملتهم المحتملة -

الأدلة - الضرورة - العدالة وفائدة التدابير الأكثر قوة - أفكار مختلفة
- أهمية بالنسبة أوروبا لاستعمار شمال إفريقيا - خصوبتها المذهلة -
سهولة التوغل بهذا الاتجاه إلى داخل إفريقيا - روعة المشروع - مميزاته
للبحث عن الآثار والعلوم والفنون المفيدة - ملاحظات.
وخص الفصل الثالث والعشرون والأخير للحديث عن الصعوبات
المحتملة للمشروع - ملاحظات على شخصية المغاربة - الحملات المرسلّة
حتى الآن ضد الكفار - عدم وجود اتحاد بين القوى البربريسكية،
والطبيعة غير الشعبية لها - سهولة المزيد من الحكومات المؤيدة لغزو
كبير اليوم أكثر من ذي قبل لتوحيد القوى الأوروبية - بنية استعمار
إفريقيا - نصائح يجب أن يتبعها الجيش الغازي - أنسب وقت للقيام
بالإنزال - طريقة شن الحرب ضد البربريسك - احتمالات أن يتبنى
المغاربة عادات أوروبا كذلك دين آخر - تقليد فريد - الحاجة إلى قوة
مهيمنة وموافقة القوى الأوروبية - الدول التي يجب أن تقود التحالف،
وما إلى ذلك. إلخ

4-ملاحظات حول رحلته إلى الجزائر:

-قدم لنا المؤلف وصفا حقيقيا لمشهد الاستيلاء على سفينة مسيحية من
طرف القراصنة الجزائريين.
-قدم لن وصفا كشاهد عيان دقيق الملاحظة باعتباره شاعرا وأديبا عن
شخصية الرايس حميدو الشهير.
-قدم لنا كذلك في رحلته عبر البحر إلى مدينة الجزائر بعد أسره تفاصيل
مفيدة عن معركة بحرية جرت بين الجزائريين والتونسيين وكيف انتصر
الجزائريون فيها.
-كما يزودنا المؤلف بمعلومات مهمة عن عملية وصول الأسرى إلى مدينة
الجزائر والاستقبال الذي كانوا يحظون به، وأسلوب التعامل مع الأسرى
وفرزهم وتوزيعهم وبيعهم في سوق العبيد.

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فيليبو بانانتي في مدينة الجزائر أنموذجا.

-يدعو المؤلف صراحة الحكومات الأوروبية إلى تناسي خلافاتهم وأحقادهم وإقامة تحالف قوي لغزو الجزائر والقضاء عليها.

ويذكر أن الأمراء المسيحيون أعلنوا في كثير من الأحيان الحرب ضد بعضهم البعض بسبب ادعاءات عديمة الفائدة، وأحياناً حتى من أجل لقب لا قيمة له، وهم يُعانون بهُدوء من الهجمات التي شنّها شعب حقير ومُحتقر على القوانين والحرية والتجارة لرعاياهم. حيث يقول: "لقد بُذلت جهود كبيرة لإلغاء تجارة الرقيق للسود الذين أصبحوا عبيداً لرجال متحضرين، ولم تُبذل أي محاولة لوضع حد لعبودية البيض الذين وقعوا في أيدي المتوحشين."

ويتساءل كلف ينفق ثلاثة أرباع كل قرن في حروب دامية بين الأمم المستنيرة في العالم المسيحي، كيف يُمكن أنهم لم يُفكروا قط في الاتحاد لمعاقبة هؤلاء الزعماء الأفارقة الذين يخوضون حرب همجية وانحرافاً لا يصدقان، ولا يستسلمون أبداً إلا لقانون الأقوى الذي لا يُقاوم، وهم في حالة عدا دائم، وليس ضد فئة معينة؟ أمة، بل ضد الفضيلة والإنسانية؟²

وبين المؤلف سبب عدم قيام أوروبا واتحادها للقضاء على القرصنة الجزائرية حيث يرجعها إلى: الاحترام البارد للذات المنشغلة حصرياً بتعظيم خاص، أو الغيرة التافهة، أو التحيزات البائسة التي تعتبر مصائب الآخرين بمثابة مزايا، والمصلحة الدنيئة تصرف انتباهنا عن الطريق المؤدي إلى سعادة الجميع. وأن سكان أوروبا البائسين غير مُبالين بالقوى العظمى، وأنهم لا يضعون بين المتدينين أو السياسيين،

² فيليبو بانانتي: قصة إقامة الأسير الإيطالي فيليبو بانانتي Filippo Pananti في مدينة الجزائر (1813)، ترجمة د/ بوطبة لخضر، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024. ص ص 408-409.

للاستماع إلى صرخات القوى العظمى. الضحايا الذين فقدوا كل شيء،
والذين تُركوا ليموتوا بشكل بائس على شواطئ إفريقيا.
ويواصل المؤلف الحديث عن فكرة غزو الجزائر حيث
يقول: "والطريقة التي اتبعت حتى الآن معهم تفتقر إلى الكرامة والحكمة.
لقد منحتنا سلامًا بلا استقرار، وراحة غير مؤكدة، وهدنة أكثر ضررًا من
الحروب. في الحياة العادية يُعد تلقي إهانة دُون عقاب أمرًا مهينًا،
وكذلك من المهين للقوى أن تسمح للكبرياء والظلم بالانتصار على
الضعف والتردد".

"أنا مع السلام، وبعيدًا عن الدعوة إلى عقيدة حرب أبدية، أو
الرغبة في رؤية جرائم أمة تُكفر عنها بدمائها كلها. لكن بالتأكيد هناك
حاجة إلى إجراءات احتياطية قوية ضد أولئك الذين تسبب عُنفهم
الطويل والمنهجي في الكثير من المعاناة لأوروبا. إلى جانب ازدراءهم لأي
التزام أخلاقي، وجشعهم غير المحدود، وكراهيتهم القديمة للمسيحيين،
يأتي الاستياء من العقاب. لذلك يجب أن نتوقع فظائع أكثر مما رأيناها.
علاوة على ذلك، بدون تجارة، وبدون صناعات، وبدون أي ميل
للاحتلالات الصناعية، كيف يُمكن لهؤلاء الأشخاص العثور على موارد
إن لم يكن بالعودة إلى عاداتهم القديمة؟ إن الاستعدادات الجارية في
جميع موانئ باربارية هي أدلة قاطعة على أن قادتهم لا ينوون البقاء في
سلام".

يبدي المؤلف رأيه في الحكومات البربريسكية حيث يقول أن
الحكومات الدول الأوروبية أخطأت في طريقة تعاملها معه هذه
الحكومات حيث يقول: "بسبب سوء حظ استثنائي آخر في السياسة،
تمّت دائمًا مُعاملة الدول البربريسكية على أنها حُكومات مُستقلة. بينما
لا يعتبر زعمائهم في المقابل في نظر السلطان العثماني سوى متمردين.
ولم يتم اتخاذ أي إجراءات حاسمة في المفاوضات الأخيرة لمنع أسلوب

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبو باناني في مدينة الجزائر أنموذجا.

حياتهم المتمثل في القرصنة والنهب في المستقبل. ألم يكن من السهل، ليس فقط على إنجلترا، ولكن على جميع أنحاء أوروبا، أن تعلن رسميًا أنها تريد السلام، ولكن عند أول هجوم على سفينة مسيحية، أو أول خرق للاتفاقية، ستذهب جيوش أوروبا المتحدة إلى سواحل إفريقيا للثأر لظلم قرون؟ ألم يكن من واجب رجال الدولة الذين تم استدعاؤهم لهذه المفاوضات الإصرار على أن السفن المسلحة للإيالة إما يتم تسليمها أو تفكيكها، وأن لا تترك سوى الموانئ التي تتطلبها التجارة المشروعة للبربريسك؟ بالتأكيد، لا يمكن فرض مثل هذه الشروط على الدول المتحضرة. لكنها كانت مبررة في مواجهة الحكومات التي لا تعترف بأي قانون دولي، والتي كان وجودها حتى الآن مجرد استمرار للسطو المروع.

ويتحدث المؤلف عن علاقات الدول الأوروبية مع حكومة الجزائر إذ يقول: "لا تثق معظم الدول الأوروبية بوعود البربريسك. وجميعها لديها معاهدات معهم، وقد قررت إسبانيا وهولندا دائمًا وجود أساطيل بحرية تُبحر في مضيق جبل طارق. اقترح السير سيدني سميث أن يتم تجميع السفن المسلحة من جميع دول أوروبا لمواجهة القراصنة، حتى يتمكن المرء من اتخاذ وسائل أكثر فاعلية. ربما يكون من المناسب إعادة تأسيس فرسان مالطا في جزيرة ما بالقرب من إفريقيا، حيث سيُجددون غاراتهم ضد الكفار. وسيرى الكثير من الناس أيضًا باعتزاز حصول الأمريكيين على ميناء في البحر المتوسط. حتى الآن، هذه الأمة هي الأولى التي تُرسل سرًا لمعاقبة القراصنة. لقد أظهرت لأوروبا كيف يجب الدفاع عن رعاياها. ولا يمكن أن يكون هذا المثال، الذي قدمه شعب يدخل في منافسة تجارية مع إنجلترا، مفيدًا إلا على ضفاف البحر المتوسط.

وهكذا يواصل المؤلف تحريضه للساسة الأوروبيين ضد الجزائر حيث ينعت الجزائريين بالمرتزقة الجشعين: "لا توجد إمكانية للثقة بجنود مرتزقة جشعين خانوا أوروبا لفترة طويلة جدًا، وبمستبدين ينظرون إلى تقدير الجمهور على أنه يضع حدودًا لإرادتهم وقوتهم. قال إمبراطور المغرب لتاجر أوروبي ذكره بكلمة أعطاهها له صاحب الجلالة الإفريقية: "هل تعتبرني من هؤلاء الكفار الذين يجب أن يكونوا دائمًا عبيدًا لوعدهم؟ أليست تصرفاتي تحت سيطرتي، ولا يمكنني تغييرها متى أردت؟ وهل سيكون دائمًا في وسع زعماء البربريسك قمع الغضب والعطش للنهب الذي يُظهره باستمرار جيش مُتحرر لا يُمكن تهدئته إلا بإعلان الحرب أو موت الداي؟ هل سيقنع خليفة زعيم عسكري بالوفاء باتفاقيات أسلافه؟ هل من الممكن إبرام اتفاقيات دائمة مع دُول دائمة الثورة، والتي تعتقد أن الحرب والنهب ضروريان لوجودها؟ أخيرًا، هل ننسى أنه من بين الأعذار التي يُقدمها البربريسك سنويًا للسلطان العثماني لعدم دفع الجزية، ضرورة وجود أساطيل باهظة الثمن تُبحر باستمرار ضد المسيحيين"؟³

يذكر المؤلف كذلك أن الجزائريين القراصنة مخادعون حيث يقول بهذا الصدد: "غالبًا ما تم قصف مدن القراصنة، واضطر الطغاة إلى طلب الرحمة. لكن بمجرد حصولهم عليها، عادوا إلى نظامهم القديم. خلال القرن الماضي، لم يتم تدمير أساطيل الجزائر أقل من ثلاث مرات من قبل الإنجليز. تلقت هذه الإيالة درسًا فظيعًا من دوكين، أميرال لويس الرابع عشر. وعلى الرغم من كل هذه الهجمات الهائلة، نهضت الجزائر من رمادها أقوى من ذي قبل. علاوة على ذلك، ينظر الزعماء الأفارقة بلا مُبالاة إلى تدمير مُدنهم، وعرض أحدهم يومًا ما القيام بذلك

³ فيليبو بانانتي: المصدر نفسه، ص ص 413-414

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في
الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فليبو بانانتي في مدينة الجزائر
أنموذجا.

بنفسه في عاصمته، مُقابل نصف المبلغ الذي سيكلف تجهيز القوة التي
ستهجمها.

لو كانت هناك حاجة لإثبات سُوء نية هذه الشعوب المميزة،
فسيتِم تَدُكُر الحاجة التي وجدت فيها العديد من القوى منذ هجوم
الجزائر، لإرسال أمراء لهم للشكوى من بعض الاعتداءات الجديدة. كان
هذا هو الدافع وراء ظهور القائد الأمريكي أمام الجزائر.

لقد تم إذلال الداى عقب الحملة الأنجليزية الهولندية. لكن لم يتم
تقليل القوى البحرية للمغرب وتونس وطرابلس. هل نَسأل ما إذا كان
المستبد الجزائري قد تم إخضاعه بالكامل؟ تُجيب الحقائق بالنفي. ربما
يكون قد فقد قوته الجسدية. لكن ازدادت كراهيته، وبقي لديه أمل
الانتقام. في الوقت الحالي، هو مشغول برفع أسوار مدينته وإصلاح
حصونه وتجهيز سرب جديد. تزداد روابط الصداقة كل يوم بينه وبين
إمبراطور المغرب. تم اتهام مُخبري الداى، الذين اعتقد أنهم لم يفعلوا ما
يكفي أثناء القصف، بالخيانة وخنقهم. ولا شيء يضاهي استيائه من
المسيحيين، خاصة تجاه الإنجليز.

ولكي يقنع الساسة الأوروبيين بفكرته لا يتوقف المؤلف عن
الاستشهاد بالحوادث التاريخية لتذكيرهم وحثهم على أخذ الأمر بجدية
فيقول في موضع من كتابه: "في الآونة الأخيرة، كانت سفينة تابعة لهذه
الأمة راسيًا في خليج الجزائر. تم حظر أي اتصال معها، ولم تتمكن من
تلقي أي نوع من الإمدادات الغذائية. تم حظر شحن الحبوب إلى
الممتلكات البريطانية في البحر المتوسط. ولا يمكن لأي تاجر إنجليزي
محاولة التفاوض في دولة القراصنة. بصرف النظر عن السفن المسلحة
بالفعل، يتوقع الداى وصول ثلاث فرقاقات كهدية من السلطان
العثماني. وهذا يستحق اهتمامًا كبيرًا. في الماضي، كان الباب العالي يُركز

فقط على وسائل إخضاع الزعماء البربريسك. واليوم يزودهم بوسائل
تجديد حربهم على القرصنة.

بعد الهجوم الأخير، بينما كان أسطول اللورد إكسموث لا يزال في
الأفق، خاطب عمر الوحشي حشدًا من أعالي جدران قصره، صارخًا
مستشيطًا بالغضب: "لا، لم نُهزم، أو إذا هُزمتنا، فذلك بأسلحة غير
معروفة لدينا، الفساد والخيانة. لقد قاتلنا كمسلمين حقيقيين،
وستنتشر سمعتنا على شواطئ أخرى. عندما يموت الجبناء، لم يُعد
أحد يتحدث عنهم. ولكن عندما يموت الشجعان، نتذكر أسمائهم،
ويصبح مجد وطنهم أكثر تألقًا."⁴

سيكون من العبث أن تسعى حكومات أوروبا والجمعية الموقرة
للفرسان المحررين إلى إقناع البربريسك بأن مصالحهم تكمن في البقاء في
سلام والحفاظ على علاقات ودية مع الدول المتحضرة. عبثًا سيرغبون
في إثبات أن سعادتهم تعتمد على تبنيهم للعائلة الكبيرة للحضارة
الأوروبية. لا يمكن للعقل أن يُسمع إلا بعد أن تهدأ المشاعر. لقد جعلت
ممارسة الظلم لفترة طويلة الرذيلة طبيعية جدًا بالنسبة لشعوب شمال
إفريقيا، بحيث يجب أن نفقد الأمل في إثارة أي مشاعر أخلاقية لديهم.
الحقيقة، بالنسبة للنفوس الفاسدة، مثل الرعد الذي يمكن أن يخترق
القبر، لكن دون أن يوقظ الموت أبدًا.⁵

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن الاستنتاج أن مؤلف الشاعر والأديب
الإيطالي فيليبو بانانتي يعد من الكتابات المهمة والقيمة التي ظهرت في
أوروبا خلال الفترة العثمانية الأخيرة من تاريخ الجزائر، وأن المعلومات
والأخبار التي أوردها ذات قيمة علمية وتاريخية كبيرة، لاسيما أنها نابعة

⁴ فيليبو بانانتي: المصدر نفسه، ص 416.

⁵ المصدر السابق، ص ص 417-418.

اسم المؤلف: بوطبة لخضر عنوان المقال: الجزائر في أواخر العهد العثماني في
الأسطوغرافيا الإيطالية، قصة إقامة الأسير الإيطالي فيليبو بانانتي في مدينة الجزائر
أنموذجا.

من شاعر وأديب بلا شك نظرتة للأشياء تختلف كثيرا عن نظرة غيره من
المؤلفين والكتاب الذين زاروا الجزائر وكتبوا عنها خلال هذه الفترة.
يعتبر فيليبو بانانتي من الكتاب الحاقدين على الجزائر خاصة
والدول المغاربية بصفة عامة، ومن أكبر الداعين إلى ضرب هذه القوى،
ولا شك أن كتابه هذا يكون قد ساهم في تكريس وترسيخ الحقد الأوروبي
على الجزائر ، وبلا شك كذلك أن فرنسا قد استفادت كثيرا مما ورد في
هذا المؤلف في التحضير لحملتها ضد الجزائر، وكذلك في لا حقا في عملية
التوسع، كما كان هذا المؤلف مادة دسمة للكتابات الفرنسية التي ظهرت
في الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر.
في الأخير نستنتج أن مؤلفنا فيليبو بانانتي لا يختلف عن باقي الكتاب
الأوروبيين في تجنبه على الجزائر، والتحريض على الكراهية والحقد
والبغض ضدها ولا شك أن هذا المؤلف قد ساهم في انتشار الشعور
بالحقد والكراهية ضد الجزائر لدى الشعوب الأوروبية وقد تجلى ذلك في
تطوع الكثير من الشباب من مختلف الجنسيات في جيش الحملة
الفرنسية لإنجاح هذه الحملة.
يشير المؤلف إلى الصعوبات التي كانت تواجهها إيالة الجزائر مع بداية
القرن التاسع عشر وهو ما جعل الدول الأوروبية تتجراً على القيام
بحملات عسكرية ضدها رغم المعاهدات المبرمة معها مثل الحملة
الهولندية الأنجليزية التي كان لها تأثير سلبي على قوة الإيالة.